



7 يوليو 2018

بقلم: محمد سعيد الجمل

مرض أحدها فيذهب للطبيب فيصف له دواء يكون في الغالب سببا في شفائه خلال يوم أو عدة أيام. هذا هو الحال مع المرض العضوي حيث تكون وصفة الطبيب بمثابة العصا السحرية بالنسبة للمريض. وما يجوز أبداً تعميم ذلك على سائر حياتنا وما قد يعترينا من مشكلات.

في إحدى المحاضرات وبينما كنت أحدث عن دور الآباء والأمهات في تربية الأبناء إذ بأحد الحاضرين يطلب مني أن أقوم بعلاج المشكلات التي تحدثت عنها جميعاً، وشعرت وكأن الناس يظنون أنني أحمل عصا سحرية!

ورغم حرصي الدائم على الإفادة في هذا المجال -قدر استطاعتي- إلا أن المؤكد أن طبيعة المشكلات التربوية بل طبيعة العملية التربوية كلها ليست كالمرض العضوي أبداً، والمستشار التربوي ليس كالطبيب أبداً.

إن التربية -أيها الأحباب الكرام- منظومة تشتمل على المربين من آباء وأمهات ومعلمين، كما تشتمل على الأطفال (محل التربية) وكذا المناخ المحيط بهم والمنهج المتبع معهم.

وهذه كلها عناصر لا بد أن تُهَيَأ وتنضبط معاً انضباطاً تاماً كي تتحقق الثمرة المرجوة منها، لاسيما وأن السلوكيات الحسنة والسيئة مكتسبة وليست موروثية كما يعتقد البعض.

وعندما يكون الوالدان هما المعجم اللغوي الذي يتلقى الطفل منه لغته فهما أيمضيا معجمه السلوكي الذي يتلقى الطفل منه أفعاله وسلوكياته؛ حيث يتعلم بالتقليد أكثر مما يتعلم بالتوجيه المباشر.

لماذا يفعل المحاضر والمستشار التربوي إن افتقد الطفل القدوة فيمن يتعامل معه مباشرة؟!  
لماذا لو رفض المربي - أو لم يستطع- أن يتوقف عن العصبية والغضب والصراخ والإهانة البدنية والمعنوية مع طفله؟!

ولماذا لو لم يستطع التوقف عن السب والشتم والكذب أمام طفله؟!

لماذا يفعل المحاضر والمستشار التربوي مع آباء وأمهات دائمي الشجار أمام أبنائهم؟!

ولماذا لو أصر الوالدان على التعامل مع ابنهما على أنه تلميذ يذهب للمدرسة ثم يعود فينكب على الواجب المنزلي حتى منتصف الليل دون مراعاة لكونه إنساناً؟ مع أن التربية ما هي إلا تنمية وتوازن لجميع جوانب الشخصية العقلية والروحية والبدنية والنفسية حتى لا يصبح ابنهما أستاذاً في الجامعة ولا يحسن التواصل مع طلابه أو حتى مع زملائه.

ولماذا يفعل المحاضر التربوي مع آباء وأمهات منشغلين في عملهم عن تربية أطفالهم؟ وربما كان ذلك لظروف اضطرارية لكن حتماً ستكون له آثار سيئة.

إن بعض من يطلب العصا السحرية يشتكي مَرُّ الشكوى من طفله الذي لم يتجاوز العام ونصف العام، وفي الوقت نفسه نكتشف خلال الحديث أن الأم تحمل في بطنها الطفل الثاني!

ولطالما كنا نصارع الآباء بأهمية تحقيق النجاح التربوي مع الأول حتى يأتي الثاني وأن هناك مدة زمنية لا بد أن تكون بين الأبناء وبعضهم وإلا فسوف

ن التربية -أيها المربون الكرام- عملية شاقة تحتاج لوضع الأبناء في بؤرة شعور الآباء والأمهات. هي تحتاج إلى تغيير بعض الصفات التي اعتدناها سنين طويلة؛ لأنها لم تعد تصلح في وجود أطفال يرون ويقلدون.

إن التربية تحتاج إلى جهد مشترك من الآباء والأمهات والمعلمين والمدربين والمشرفين.

كما تحتاج إلى قراءة واطلاع وإلى صبر وتحمل.

نحن نصنع رجالاً نفخر بهم ويدعون لنا في حياتنا وبعد مماتنا ونثقل بهم في الآخرة موازيننا. إن العصا السحرية هي طلب المفلسين الكسالى الذين لا يريدون بذل الجهد لحصد الثمرة، وليتها كانت متاحة فنحصل عليها بأي ثمن لكن هيهات فهذا ضرب من الخيال.

إذن ما علينا إلا التضحية من أجل أبنائنا بثمانين الوقت لا ببقاياه، وبخالص الجهد لا بفتاته، مع اتباع إرشادات المتخصصين برحابة صدر. والدعاء الدائم لأبنائنا، وكذا احترامهم والابتسامه في وجوههم وعدم التضحية بهم إن بدا منهم سوء السلوك.

لا يمر يوم إلا ونعانقهم ونقبلهم ونحن نهمس في أذن كل منهم (أحبك كثيرًا).

فلا أحد يحمل عصا سحرية.

\*\*\*\*